كتاب الشهادة

نصوص روائية

محمد عامر فاضل



٢٠٠٨


نفرو للنشر والتوزيع

الإشراف العام: محمد الحسينى

اسم الكتـــاب: كتاب الشهادة

اســم المــؤلــف: محمد عامر فاضل

رقــم الإيــداع: ٢٥٦٤٢ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: 977-6196-43-8

تصميم الغلاف: كامل جرافيك

جـمع إلكتـرونى: سوفت أيماج

المراسـلات:
٢١ ش الصناديلى بالجــيــزة
١٧ ش العطار بالجـــيـــزة
ت: ٣٥٧١٢٦١٨
موبايل: ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى:
www.darnefro.com
البريد الإلكترونى:
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى
٢٠٠٨

كتاب الشهادة

نصوص روائية



مَعْمِدَانيةُ النزع والعروج

١

أَعِنْدَما أقولُ أنا تغضبُ أنت
وتقول لى أنت محصورُ فى دائرة الذَّات !!

يُهَيَّأُ لى أننى لا أعرف كيف تكون الكتابة ،
أنا لا أكتب سوى القصة ،
ويُهَيَّأُ إلىَّ أننى لا أكتبها..
كثيرًا ما أُفَاَجَأُ بأننى أستطيع فَكَّ الخَطِّ..
وتكون المفاجأة مبهجةً !!

الحالةُ..ليستْ هى الحقيقة ،

ولا الكائن الحقيقىَ فى العالم ،

لكننى اخترتُها.. وأَحْبَبْتُها..

ويبدو أننى ١٥٠مُصِـــرٌّ !

أخافُ هذه الأرضَ ، وهذه الحياةَ
والسماءُ لم تَفْتَحْ أَبْوابَها لى ..
هل سيجىء اليوم الذى أُصْبِحُ فيه أكثَر شجاعةً ؟
الأمر يتطلب الفوارس الضارية
ولأننى الحَمَلُ شَذَّ عن القطيع..

فإننى أَفْرَقُ من مَصِيْرِى.

هل عَليَّ أن أكونَ حاملاً لمفتاح الحياة
أو للقرآن أو المعرفة !
هل عَليَّ أن أُقَدِّمَ للغوغاء العامة أو للصفوة الخاصة..معرفة!
لا أظن ..

- كنتَ خارجَ المَدارِ

- فما الذى رمى بك فى المدار

- شربت لغة المطلقِ

- فلماذا استسلمتَ للنسبى

- ذلك تم برغبتى..

- تعرفُ !

- وأحترقُ

- لادخولَ فى البحرِ بعدَ الغرقِ..

- أعرف.

النار باردة متى تشتعل وتُولْوِلُ ؟
النارُ مُتأجِجةٌ..متى تأكلنى ؟

الهَمَلَ..الهَمَلَ..الهَمَلَ
لاتتركونى لهؤلاء الهمل..لاتتركونى..

هؤلاء التافهون إلى متى سيظلون هكذا
يكتمون نَفَسي..إلى متى ؟!

أَشُكُّ قليلاً فى أن لى معجزة تَمَّتْ
وأن القومَ لن يصبروا على إبراهيم أكثر من هذا
وأن عليهم حقًا إما أن يرموه فى النار ،
أو حقًا عليهم أن يؤمنوا..

فى اللحظة التى أَنْفُضُ فيها الترابَ عن قَدَمَىَّ وأنا علـــى حافـــةِ العالم، أرغب فى القيام ببعض الأشياء..منها تَبْيِـــيضُ أعمــــالى الأخيرة وجمعها وإعطاؤُها للصديق المُحبِّ، حتى لاتموت هـــذه الأعمال القَيِّمة، وحتى لايُحرمَ العالمُ من جمالى .. وأنـــوى أن أقوم ببعض الجرائم مثل: القتل، الاغتصاب، السرقة، النصب، وأنوى أن أقوم بهذه الجرائم بذكاء وحَذر شديدين، وأنـــوى أن أُأَجلَ موتى إلى أن أتزوج وأنجب ولدًا..حَبَّذَا لو كان ولدًا وأربيه على عَيْنِى.

بعد سبعةِ أشْهُرٍ قضيتها فى معمدانية الموت.. وكأن العـــالم أراه للمرة الأولى..لااكتشافًا جديدًا أعنى .. ولا أعنى تجـــدد العـــالم بالنسبة لى.. بل أعنى..ذلك الإحساسَ القديمَ .. عنـــدما نظـــرتُ فوجدتنى على هيئة فَسَميتُ أجزاءَها، ووجدتُ العـــالم فَسَـــميتُ عناصره وكائناته .. وتفاعلاتى به والعكس ، وعنـــدما وجـــدت العناصر تحاربنى وتسالمنى فأخذتُ أحاربها وأسالمها وأخـــذت أعبدها وتطيعنى.. الآن تلك لعبة بائخة..يأخذنى قانونها قَسْـــرًا عَبْدًا:

أستمتع وأتعذب بالحلاوة..أشقى وأكره حياتى عندما أرى وجهًا قبيحًا..عندما أرى سلوكًالايعجبنى..ولست قادرًا على أن أكـــون حرًا وأتقبل أن العالم للجميع ..!!

فى اللحظة التى أَنْعتقُ فيها من النحلة..أكون فى
بئرها المظلم..
وأنا مُتَعَفِّنٌ فى بئرها المظلم أسأل العَلِىَّ
لماذا أنا لا أعتقد .. ولا أتبنى نحلَةً..ولا أترك نحلة تتبنانى ؟!!

تلك هى قوانينُ العالم..واقفة كأشجار السَّرْو..
مُتَرَبِّصة كنمر قصير أسود معقوف المنخار.. وها أنذا..طويـل شاب شابنى أتب وعجمة.. ولا أحتمل أن أبـرد قلـيلاً..أو أن أجوع قليلاً.. أو أن أسخن قليلاً .. أو أن أفتـر قلـيلاً.. أو أن أحتَرم قليلاً .. أو أن أُبْغَضَ قليلاً .. أو أن أبتعد عـن الأهـل قليلاً .. أو أفلس قليلاً .. أن تحبنى امرأة قليلاً .. أو أن تكرهنى امرأة قليلاً .. أو أن أحب امرأة قلـيلاً .. أو أن أكـره امـرأة قليلاً..

تلك هى قوانين .. وها أنذا.

ربما كنتُ أخذتُ نصيبى كاملاً من الحياة،
لذا تفارقنى أرواح الصابرين..
أو ربما لم آخذ من الحياة قُلاَمَةَ ظفر،
لذا فأنا لا أعرف أرواح الصابرين وهى تجهلنى..

اكتشفتُ ويالخيبتى أننى أمر فى البشر وأنا معتقد أنه ليس لأحد

أن يريد ..

فقط لى أنا هذا الحق

هذا الحق لى أنا فقط ،

واكتشفتُ [ويالخيبتى] أننى أمــُـر فى البشر وأنا أعتقد أنه لكــل

أحد أن يريد ..

فقط ليس لى هذا الحق

ليس لى أنا فقط هذا الحق !

ما لم أقلهُ سيقوله القادمون
وما قلتهُ سيقوله القادمون
وماقلته قاله السالفون
تلك دوائر الجبر
لانحب أن نراها فنسقط فى دائرة المحْقِ ..!

كنتُ أدعو..اللهم خُذْنِى منِّى إليك
فأخذنى..وتركت فى ذهول الأخذ
وما عرفت ذا الذهول إلا عندما تركت لنشوة الرد والفردانية..
ثم أُخِذْتُ..فقلت «يا مُحَيِّرَ القلوبِ زدنى تَحَيُّرًا».

أردتُ أن ألعب لعبة تأخذ فى طَيِّهَا الخَلْقَ ،
لكنها أخذتنى أولاً.
ذلك قانونها..
كنت أعرف ..!!

كل التجارب لعب مَدْروسَةٌ ..
نختارها بمساعدة صاحب..الحَانِ

(وأنا السِّكِّيْرُ)

والذى آلَ على نفسه..أن يطلعنا(ونحن السكارى)
على أسرارها كاملةً !!

كيف يمكن للناس أن يُحسوا احتياجهم
إلى أمر آخر !!
كيف !!

حتى وأنا أكتب آخر كلماتى
لا أستطيع إلا أن أكذب وأزَوِّرَ..
كى أذهب بأسرارى كاملة أو منقوصة !!

أى أنا..

لك الله..

٢

أمى..

يالأمى..

ترانى قردًا وغزالًا ، يمامًا وحصانًا

ترانى أبيضَ كالدين، أخضر كالملائكة

أسودَ كالشياطين، أحمرَ كجهنم

يالأمى

ترانى حيًا وترانى ميتًا..

يالأمى..فجعتها.

أمى..

عندما أَتَوَدَّدُ إليها..تكون قاسية مُفْجِعَةً وعندما أقسو عليها..تشكو لله ضَعْفَها وَقِلَّةَ حيلتها.. وهوانها عَلَيَّ..

أَسِيْرُ.. ليس من شيء سوى طبيعة ذلك العالم .. هــواءٌ مُتْعَــةٌ ليست كمتعة نعرفها أو كمتعة نجهلها..

الضوءُ الذى يَهبُ ذاك العالمَ حياتَه يَصْنَعُ بالفعل لحظة وعالمَــا فيما وراءَ الإدراك وعدم الإدراك..

أمى أجدها متربعة فى القلب..فى هدوء وطمأنية..أسير وأجلس أضع رأسى على حجرها..وأقول اقرئى لــى..فأخــذتْ تقرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ..» مُمْسِكة جبهتى من قرنيها..

حينئذ كل شيء يذهب إلى حضرة الأزل ..

• •

جَسَدكِ فى الحلم..عرفته..معرفة أَعلَّى..من التى لم تكن..

تلك بصائر الروح تَسرى فى دَوَاخِلِها وتَتَعَــاطَى ذواتهــا فـــى نورانيات الظلمات المكبلة للجسد الهزيل.. لم يكن مما يرضـــى أن أختفى خَلفَ الكلام وتَخْتَفِين خلف استماعك .. كنــا نختفـــى بعشقنا خلف الكلام..!!

الشىء الوحيدُ الذى صارحتنى الروح به قبل أن تزهق .. هــو حقيقة عشقى لكِ. لم يكن ممــا يرضـــى أن أذهــب بـــدون أن تزورينى وأنتِ فى اكتمالِ الذات وفى زَهزهة ترونقها وعلوها ، فتكون لى معرفة بجسدك وروحك وبما بعد الجسد والروح..

عَلائقُ لايهبها العَلِىُّ إلا للذين تخطو برجل عَتَبةَ الفناء.

كان يُعدُّ لانتحار ذَاته..عندما كانت تَسْتَعذُّ لعشقه.. كان (الريفو) يتحول موتًا فى تضاعيف الحياة..والروح تنسحب من المشـــهد عندما كانت تتبرج له كانت اليدان والعينان تحاولان أن تمســكا بالحياة من قلب الفراغ .. عندما كانت تخرج من منزلها تبحــث عنه.

الحياة تَتْسَرِبُ

وهى تتوه

ليل المستشفيات يرفض استقباله ويوبخه على الفعلة الرعناء..

دموعها.. خنقة فى حلقها..سقوط قلبها..تلفلف الدروب

الماء بالملح ، يتقيأ موته يعتل أسبوعًا

تشرب موتًا..وتعتل أسبوعًا

ويلتقيان ..

• • •

أصدقائى

يحتاجون ما يرتلونه، عندما تلعب الصَّهْباء أو العُقار أو

سوء المنقلب وسوء المنعدل، أو الوحدة – بهم.

صديق..يرتل أزهار الشر ، صديق يرتل أغانى الضياع وأغانى الوطن..صديق يرتل أشعاره، صديق يرتل موسيقى ترْقى .. صديق يرتل أسطرًا من (أمل) صديق يتركنا إلى مسرح البينك فلويد..أو غابات چيڤارا ، صديق يرتلنى إلى أو يرتله ، صديق يرتل أمه.. يبكى.. ويشهق.. ويزفر.. يرتل أمه.

وأنا أصمت.. وأرتل التبغ الردئ.

أصدقائى يحتاجون ما يرتلونه.

أصدقائى
يُجيدون نقش الوطن على جدران أرواحهم
والوطن يجيد نقشهم على جدران السِرِّ !

شاب على سِنِّ باب الجامعة المغلق.
النحاس الأصفر يلمع تحت شمس الأصيل الشتوى – للبذل السوداء .. يَطْفُرُ دَمُ طالب كان يبحث عن باب للخروج.. كانت رصاصة واحدة اصطادته غير عامدة..
قيل اسُمه أمامى للمرة الأولى ، أحسست أن الاسم لبطل قديم استُشهِدَ فى وضع مختلف..مختلف تمامًا.. استشهد شهادة مشرفة..مشرفة.. .

• • ••

سيصير العالم جميّلا عندما يخلو من الناس
وسيصير أجملَ وأروعَ عندما يمتلئ بالناس.

تلك بُقْعَةُ مالها جيران
وتلك لحظة ما لها أب ولا ابن
وهذا أنا مُكَبَّل منفلت فيهما.

الحقيقةُ الناسُ وأنا المتفقهُ
أنا الحقيقة والناس المُتَفَقِّهُونَ .

نحن لانعيشُ إلا عبوديتنا للسَّادَةِ التافهين .. صدقونى مهما تَلَوَّنَ الأمر.. ومهما تَخَفَّى.. ومهما فعلتم كى يبدو الأمر علـــى غيـــر حقيقته .. فلن تُفْلِحُوا فى أن تغيروا حقيقة أننا فقط عبيدُ الســـادة التافهين .

نحن شعب قدير فى معرفة الحقائق ، وأكثرُ قدرة على طَمْسِها مرة أخرى ..

لستُ أدرى..يفعل ذلك كى يعيش..أم كى يبرر موته؟

• ••••

أيها القادمون ..

إننى من جيل لايحمل مشروعًا..ولايسير إلى هدف ترونه عظيمًا..ونبدو به عظماء وتسلكوننا من جرائه بسلك العظماء..

إننى من جيل يحتشد بما تبقى وبما لم يَتَبَقَّ من نفسه ومن نفس الوطن ليحمى نفسه ويحميكم من الموت..

فقط نريد أن نظل أحياء فقط أحياء.. فإن بقينا جئتم..واقرأوا الفاتحة على أرواحنا.. ولاتسلكونا بسلك عظماء الأمة..

فقط اعلموا هذه حالنا!

أيتها الأرض..أيها الأسلاف..يا معاصريَّ..

أحبكم وأعشقكم..وأكرهكم..

فبادلوني كما تشاءون

حبًا بكره

وكرهًا بعشق

كما تشاءون

وللقادمين حياتي.

إننا نلقى بكلماتنا الأخيرة للعصور.. قبل أن نتوغل فى الطريق.. لاعجب فالحَيَّاتُ أَنْشَبَتْ نفسها فينا.. الحيات.. والشمس ماتت موتًا مؤقتًا يستوعبنا ويستوعب أعمارًا أخرى وأنفاسنا يشدها دم السالفين..وتزلق أرجلنا على طراوة الجسد الميت.

• • • • • •

الخروجُ من الجلد
ليس أسهل من الدخول فى الجلد
والدخولُ فى الجلد
ليس أسهل من الخروج من الجلد.

إن ما ندفعه ثمنًا لمباهجنا
لايشجعنا على قبول الأمر..
خاصة وأن مباهجنا منتهية
« وكل ماله نهاية لايُعَوَّلُ عليه» .

الحياة تكرار ليس مُمِلاً للحوادث
تكرار ليس مملاً للحوادث
فقط هى تكرار ليس مملاً.

الأمس البعيد واليوم والغد البعيد
كلنا جلوس فى حضرة الحق .. •

لاتموتوا بعيدًا عن أحضان أمهاتكم
لاتموتوا بعيدًا عن أدمع الإخوة الصغار
لاتفجعوا أهليكم لاتفجعوهم لاتموتوا بعيدًا !!

٣

لاأكتب إلا عندما يكون قطران الموتِ فى حلقى.

كل ما أحاوله..اصطياد الكلمات المسهومة بسموم القلب.. من غثاء مسوداتي.. وكل كلمة أستخلصُها تأخذ من عمري.. وتنحت روحي.. وتشكل القادمين وتربكُ وجه الأرض.

كل ما أحاله.. أن أعرف سرَّ الكلمة ثم أُخَزِّنُهُ فى بطون أحذيتى القديمة.. وأخرجه عندما يكون الحفل أقلَّ خطرًا وأعظمَ قيمة.

كل ما أحاوله أن أعرف سر الكلمة ثم أحرقه..وتعـود الكلمـة جسدًا أهْصِره..وأخللهُ سِرِّى..أعجنه ثم أدخله فرنى..أُخرِجُه ثم أوزعه على الناس..ثم أرقبهُ إلـى أن يصـير دمًـا وحالـة.. وتاريخاً.. ثم أتكئ وأمَدِّدُ ساقىَّ !!

جُملى خَليقَى

وليست استخدامًا أعلى لنحوى وصرفى ودلالتى وبلاغتى

وفيوض حالتى.

جُملى ساريات فيك أيها الغد
جُملى تتبختر فيك أيها الأمس البعيد.

جُملى صارت مداراتى
أهى النهاية إذًا..أم تلك بُشْرَى البداية !

كلامى أقوله..فَيَجْلِبُ عَلَىَّ اللوم طوعًا
وأكتبه فيأتى لى بالمجد كَرْهًا.

• •

... الآنَ أنتَ من لحمي ودمي.
تساوينا..خالقًا لخالق..ومخلوقًا لمخلوق..

• • •

...
الآنَ أشْهَدُ فَرْحَةَ العلِيَّ

■ ■ ■

١٩٩٣/١
١٩٩٤/١٢

مَعْمِدَانيةُ البدَنِ البِكْرِ

لن تجد إنسانًا يحكى لك الحكاية بحذافيرها مثلى ..!!

١

الحكاية

تلاوة لروح « صباح»

بنت الشمس وفقيدة الفقراء، التى ما تمنت حلالاً ولاسارت إلـــى حرام، فاعتصرها الزند المفترى بالغنى، وقطعتها من شـــجرتها المونقة فى ليلها الزاهى سكين العرف العادلة!!

صباح .. تلاوة لروحك .. يا صباح .. يا صباح .. صباح

أذكر أن شفتيها كانتا متورمتين
وأن الشفة السفلى ظاهرة عليها عضة
وأن بقعة حمراء فى خدها الأيمن
وأن أثر عضة علا وجنتها اليسرى
وأثر مطر علا بشرتها
قلت لها أن تستر نفسها عند صديقتها بالمكياچ
احتدت
أنا لم أرتكب خطأ
ولا تخفنى
قلت
لاتكونى غبية
عندما ما يراك أبوك سيعرف وسيضربك
لأنك تأخرت
وسوف يقوم بمحاولة ربما تنجح هذه المرة
والكالسون الصوف المربوط بالحبل ينزل إلى قرار
والفستان ذو اللياقة المربوطة والثقيل يخف فى هواء حجـــرتكم الثقيل المظلم.

دخلنا

كانت نهارًا

من العاشرة إلى الرابعة

لم تكن ليلاً

وهى بكامل قفافيزها وسراويلها الصوف وحبالها الخشنة.

عندما اكتمل عريى اشتد خوفى .. وامتلأت الحجرة برجال ذوى بدل سود ومسدسات طويلة وعريضة ومشهرة ولكمة فى فم المعدة ورجال ذوى طاسات على رءوسهم ورشاشات بأيديهم .. وشباب يلبسون نظارات ريبان .. ورجل بزى عادى يشق الجمع «ماسمك» «هات بطاقتك» «ما اسمك».

بعد أن تفتتنى المباغتة الليلية هذه، وأحاول مسك بولى الذى يريد أن ينفلت، وتفرغ الحجرة من البق والوسخ وضجة الجيران وبصاقهم

ـ يقف صديقى وقد هد فزعه على سندان رعبى، ويجلس على صدر الهواء..

ويخرم بشنيور قاع الذاكرة.

قالت .. كنت جميلاً بغير قميص .. وشكلك كده وحش خالص ..

قلت .. لا شىء أروع من العرى..

وأثق أن لكلامى فى تهدجه سيادة الروح المفزَّعة الوحيدة..

زعقت .. إلبس هدومك وغطت وشها بملاءة مهترئة..

خطتها

حاولت أن أخيطها جيداً لكن خانتنى الخبرة

تمددتُ على السرير

جدتى كانت تغضب على أمى لوقالت عن أبى أنه يتمدد ..

"متفولش زى الغراب".

غطيت نصفى الأسفل بطرف الملاءة المهترئة .. وشددت نفساً نفساً من السيجارة .. قلت .. كده كويس «.. لأهقوم أمشى» ..

« إلبس هدومك بقى» .. أرجوك متتعبنيش أنا تعبان خلقة..

لبس هدوم مش لابس اهمدى بقى..

ووضعتُ السيجارة فى فمها .. وقبلتُ المطفأة .. فانتفضت لأ .. فاشتعل النيكوتين فى دمى وذاب القطران شطة حمراء زنخة فى فمى .. واستُفززت.

وثبت فى البنطلون الچينز ولبست قميصى البرتقالى واشتعلت سيجارة فى حسنك السبع.

مالك؟ زعلت ؟ .. تكاد تبكى وعلا وجهها سهم الله .. انقلبت سمرتها إلى سواد فودة الفرن ..

لامتقلقيش .. مفيش مشاكل

لا .. إنت زعلت

لا والله مش زعلان .. دى حريتك .. والمسـائل دى مفهـاش
جبر .. بس أنا بالفعل مضايق فى البنطلون بيكتم نفسى وبيتعبنى
دى كل الحكاية .. خليك انت بهدومك وخلينى أنا كدا ..
ابتسمتُ خفيفًا وقلت .. وبعد كدا الملابس موصـل غيـر جيـد
للحرارة وضحكنا.
اتكأتُ على ظهر السرير
أمسكتْ وجهى بين كفيها
قالت قبلنى..
جاءت تأخذ شفتها منى
قلت لأ..
ثم كان لفمها وقت مع سمير الذى هو إحليلى..
وشربت فراقت وراق الوقت..
البنت..
أبوها .. من الصعيد الساخن المحشور بين دفتين مـن جبـال.
راحت إلى البلد فى الزيارات السانحة
أحبت [صباح .. بنت الدور فرحاً وحزناً .. وهلهلة فيما بـين
الفرح والحزن ..]
كانت تشيلها .. تحكى لها الحكايا .. تأتى لها بالكراملة..
تقدم خالها ليلاً .. أونهاراً.. فقأ البكارة .. وأخذ عين البنت.

إنها متعة القطفة الأولى والقطاف الدانية..

إنها سكاكين الجسد المفترى بالغنى..

فى بلاد محشورة بين دفتين من جبال.

صباح ياهزيلة العائلة .. صباح .. يا يتيمة .. انكشف الغطـــاء

وفاحت رائحة الطعام لأنوف الكلاب..

تقدم الخال إلى أخيها .. عرض عليه الجميلة..

أخذاها إلى حيث اختفى الأخضـــر .. وانتهـــى صـــريخ ابـــن اليومين..

وانتثرت صومعة بكوة برجل صلب عظام الوجه

ربما انتثرت سهواً من زمن:

أعتزلكم وما تعبدون.

كانت بينهما .. عندما احتكم التيه انفلتـــت .. جريـــا وراءهـــا بعزمهما..

انفلت .. جريا وراء بعزمها .. والرجل صلبة عظام وجهه حادة نظرته يلم أطراف عباءته الخضراء ويقطب

شد الخال الشعر بقبضة .. انفتح قوس الصدر وانفـــتح قـــوس الرقبة .. كان الدم يتدفق من قلب الخالى عندما كانت الســـكينة تلمع فى فضاء متلألئ الرمـــال .. وخيـــوط الشـــمس شـــفرات

حادة .. كانت .. هوى .. شنتر الدم أحمر قانياً وأخذت تقول أخ
خ خ خ
زى العجل تمام .. كذلك يروى فى الجلسات المتوغلة فى الليـل
أو المتوغلة فى النهار.. ورحبات الود الأسرى تحتمل المزيـد
وعلى الحائط صورة لرجل صلب عظام الوجه .. يجلس علـى
الأرض ويتكئ بكوعه على مخدة بيضاء، تحتد نظرته، مخلوعة
عنه عباءته
هى التى رأت خالها وهو،
وهى التى سمعت صباح واهية..

خالها..
يحبها ويدللها، كلما جاء إلى القاهرة يأخذها من يدها ويفسحها ..
يحكى معها .. وتحكى معه .. وهى تحبه فهـو رجـل وفتـى،
طويل وعريض، أحمر وأبيض العمامة، حلو اللكنة .. وأبوهـا
أسود أفطس، وعيناه كأنهما دملان .. صوته كخر المجـارى ..
ويحبها دون إخوتها .. يدللها .. ويرقدها فى حضـنه .. وهـى
تحبه وتحب فىَّ مالا تجده فى السيد أبيها .. علىَّ إذاً أن أكون أباً
معيناً.
وأنا..

إياه أكره .. لأنه يقسو على زوجته فيصل فحيحها لأذن البنت فتختنق وتستخفى، ويختلط الفعل المستور العيب الحرام الحلال بفكرة أنه يضربها .. ينعجن صوتاهما وهى رفضاً تفح .. صوتاهما ينعجنان .. وهو بالفعل فقأ عين البنت .

والبنت..

تعيش فى حجرتين مع أربعة أخوة وبضعة ضيوف..

ويجبرها على العمل .. فى المجزر فى المدابغ فى حديقة الحيوان فى مكتب فى أجزخانة فى عيادة .. لتدفع ثمن بقائها فى بيته أو تتزوج أو يتزوجها هو .. أو يسرحها .. وهو رجل يعرف الله..

يحافظ على الصلوات ويتلو القرآن .. يعمل سمساراً وكان يتواطأ عليها مع رجل عجوز..

الكلام على لسان البنت التى أحبتنى والتى قنطرتنى ..

وجعلتنى كوبرى لتتخلص من عشقها لولد يرى [أن البنات والنساء اللاتى يلقينه يعشقنه والتى تعشقه لاتنساه..] لم تعشقه .. فكان يجيئها ويقول لها .. صباح الخير .. إنت حلمتى بيا امبارح .. فتضحك أحلم بيك ليه يعنى .. «طيب خلاص هتحلمى بيا النهاردا ».. ثم يجىء الغتت .. «لا صباح الخير إنت حلمتى بيا امبارح» ..

وهو يبتسم ابتسامة الأسطوريين .. وكانت تسخر منه .. إلى أن حلمت به .. وعشقته السمراء حبيبتى!!

وكانت السمراء باردة لم يتعد يديها .. وقال ياه دا انت تلج إيـــه دا..

علمت هذا، حكت لى هذا .. هى..

ولم أكن قسيساً لست قسيساً!!

لم أكن أباً فى الكنيسة .. ولم تكن هى على كرسى الاعتراف..

ولم تكن تبغى نسيم التبرؤ!!

اخترعت حلاً أشهى من مصاصة لولى بب

أن تحبنى وتجعلنى كوبرى وتعبر علىَّ ظهر خط النار..

حبيبتى السمراء [ليست جميلة].

فعلت هذا..

السمراء فعلت هذا وهى ليست جميلة.

فى لحظة لم تكن تعرف ماذا تفعل لتحل مشكلاتها

فى لحظة لم أكن أعرف ماذا تفعل وماذا أفعل لتحل مشكلاتها

قلت لها

إيه رأيك اعزمك على شاى معتبر

فين ؟

عندى فى الأوضة

إيه هنروح البيت!

إيه رأيك

ياريت.

چيبتها البنفسجية .. أنزلتُ

سستتها .. وخرجتْ منها..

فتحتُ زراراً واحداً من البلوزة

واحتضنتها بشدة

كان النايلون فى البلوزة خشناً..

ونشف فيه العرق .. تهاوتْ على السرير وسقطتُ معهـــا بهـــا عليها .. عندما كان لإحليلى فى فردوسها خرير يضحكها ويهز رأسها على المخدة أدركتُ أنه لايسترنى سوى السقف..

وأنه لايفصلنى عن الشارع سوى بابين من خشب ومسافة لاتزيد على عشرة أمتار وباب من حديـــد قبيـــل أن تنطلـــق قـــذائفى صلصلت سلسلة وانخبطت أبواب

وفى أفق هدوء حجرتى لمعت سكين طويلة ويـــد تعـــرف فـــج الأرض عكشت شعرها لَمَّةً وشدت رقبتها قوساً وهـــوت يـــد .. فانتثرتْ على سريرى الدماء .. العرق ينز ويغسلنى .. وعينان تلمعان فى صحراء تلمع رمالها .. وبهدوء امتدت كف وخنقـــت

إحليلى من زمارته وكما تسير سكين فى إصبع من الموز سارت سكينة

قلت .. هيا نخرج

قالت .. لأ .. انت عايزنى أروح بيتنا!

نتجوز وأعيش معاك فى الأوضـــه دى والله حبيتهــا .. انـــت مبتحبنيش ؟

دار جدل وخرجنا

عبرنا خط السكة الحديد

أسقيتها عصير قصب

ثم أوصلتها إلى منزلهم..

٢

حذافيرها

أ ـ كنت أعصر ليمونى فى الشوارع ..

كانت تحب
طيبة عسكرى المرور الأسمر الصعيدى..
الذى نراه فى طريقنا إلى منزلهم ..
من شباك الميكروباص .. كل يوم..
كانت تبتسم له .. وتقول لى..
«بص .. دا طيب خالص كدا وغلبان».
كانت تحب
أن يخد منا فى الكافيتريا محمد الوسيم، المهـذب، الجـاد، ذو الشعر الناعم الأسود..
كانت ترجونى أن أترك له بقشيشاً أكبر..
كانت تبتسم له ابتسامة مشرقة .. كابتسامة زهرة عباد الشمس..

كانت تحب

بنطالى الصوف الأسود .. به نقشة زرقاء..

قالت .. إنه بنطلون عبقرى .. إلبسه على طول..

وكانت تحب قميصى البرتقالى، تمنت علىَّ أن أعطيها القميص .. لكننى كنت أحبه كثيراً.

كانت ترى

أن العالم يرتج تحت سنابكى وأنا قادم ببنطالى الصوف وقميصى الصوف والجاكت الجلد وكوفيتى ذات العقد ونظارتى ذهبية الإطار.

أهدتنى..

حصاناً خزفيًا .. يجر عربة

غضبتُ عندما استخدمه أحد الأصدقاء مطفأة

ثم استخدمتُه مطفأة.

أهدتنى مرة

برنيطة (خوص) علقتها فى الحجرة..

عندما كان يجيئنى الأصدقاء وينظرون إليها..

يمعنون النظر .. يشردون .. ثم يلتفتون برءوسهم..

ويقولون .. الأوضة دى مريحة قوى .. وانت عامل فيها جو ..

***

جلدها أسود
شعرها قصير
وهى بالملابس أجمل (نسبياً)
وأشهى دائماً..

ثدياها مترهلان
دعكت بنفسى زلطهما .. وعجنت رملهما
إلى أن كادت تسقط منى فى الشارع..

***

كنت
أمسك يدها .. وأمرر راحتها على إحليلى
كنت
أترك يدها .. وأمسك وسطها .. وأنكت كفى فى الحارة السد فى قلب الشارع.
كنا نضع راحتينا فى راحتينا
وعندما ينزلقان من الماء كنت أنكت فى كفها وسطاى ..
فتتأوه .. وتخشى أن تسقط منى فى الشارع.

كنت أخلل أصابعها أصابعى .. أولجهم كنت وأنزعهم كنـــت ..
أولجهم أنزعهم .. أولجهـــم فتصـــبح كالليمونـــة .. كانـــت ..
أولجهم .

. كنت وأعصر ليمونى .. يسحب قلبها من القاع سرينة عربـــة
تمر وتهليل سائقها .. فأقول ..مالك ..

***

الكراسى الخلفية من الميكروباصات لاتحمل رائحتنا .. لأنها من
اليايات الحديد والقش والإسفنج والبلاستيك..

السائقون أبناء البلد .. كانوا يحيون محبتنا الباديـــة ويحترمـــون
تعشقنا المحترم ويتركون لنا اللحظات..

كانوا يسألوننى بعيونهم عندما أكون وحيداً .. عنهـــا .. فأبتســـم
لأبناء البلد وبعينىَّ أجيب..

السائقون الصفر كانوا يقتلون شهوتنا برصاص عيـــونهم عبـــر
المرايا المقوسة الكاشفة .. فتنظر هى إلى الطرق والشوارع تعد
العمدان .. تسمى ألوان ملابس الناس فى سرها .. وأنكفئ أنـــا
على حافة الكرسى الذى أمامى وأحس أننى محشور .. يضايقنى
الجسد المجاور الملتصق .. أتمنى لو أقدر وأقبل نحر حبيبتى..

كنا نحب الشوارع .. والشوارع الخلفية من الأحياء الراقية كنت أكره الأحياء الشعبية .. وشوارعها .. وكنت أحب أن أمر بهـــا خلف الأكشاك المغلقة التى على الأرصفة.

***

ترانى فتحكى ما حدث
وكيف أن وكيف
أسمعها... وآذاناً مصغية أصير
أودعها لنلتقى غدًا
لتحكى ما سيحدث
ثم أسفه روحها تلك التى لا تعرف الحب.

***

على كف السرير .. كانت تقول .. يا حمار والله انت حمار.. وكلما قالت .. ياحمار والله انت حمار .. كنـــت أصـــير طفـــلاً موبخًا ..

أعطيتها (مخطوطة) لى .. وكتبًا من مكتبتى .. وكتبًـــا فيحهـــا عطر من عطرى ومجلات قرأتها وخططـــت فيهـــا بقلمـــى .. وكتبت ملاحظاتى فيها .. أعطيتها شـــريطًا لفيـــروز .. وفـــى منزلهم كانت(تغلق عليها الحجرة) وتستلقى علـــى الســـرير .. وفيروز تغنى .. حبيتك تنسيت النوم .. وهى تحـــس شـــعرى

المنعكش على وجهها تضع المخدة بين فخـــديها الــــى الصــــبح (برواياتها).

سُرقت حقيبتها ذات يوم وكان فيها الشريط والصورة.. .

ب ـ القاهرة .. بلا محبوبة وبلا صديق!! ..

[الذين يتمنون الموت قبل الثلاثين وألا يدخلوا الجيش رضـــعوا
الصبار من ثدى أمهاتهم
وهن جالسات أمام بركان
يلهب الأرواح
ويلهب مع أجسادهن صغارهن
فيكبروا ببراكينهم ،
الذين عانقوا الأحجار فى الحادية عشرة
وشربوا عرقها
الذين رسمت على أجسادهم سياط آبائهم
وعلب التبغ
ـ مضى العام العشرون ولم يموتوا
ومضى الواحد والعشرون ولم يموتوا
عشقناهم فى الثالثة والعشرين فماتوا !
لأنهم ذاقو عرق الضمور من صدورنا
ولأن طعم التبغ على شفاهنا].
أعلنت موتها
لن أعزى أهلها

ولن أسير فى جنازتها
وعندما يمر نعشها سأبصق ثم أشيح.

***

ما غزانى البرد إلا هذا الشتاء
كنت أضحك من أهلنا وهم يبحثون عن درجـــة حـــرارة اليـــوم
والمتوقعة غدًا ما أحسست شتاء قط
لم يكن غير انسلالة الشتاء الكئيبة ،
أتقطع بعد أن أعطى ظهرى للباب ،
روائح الذاكرة
النتنة
تهب مع أول هواء
ومع شمس الربيع ،
يأتى الربيع فينتهى العام وتأخذ الفصول هدنتها السنوية فى كهف
الأبد
هذا الشتاء: برد يدخل إلى العظام يثبت إبرًا فى المفاصل
ولست إلا جلدًا على عظم
أرتعش وثلاجة كئيبة القاهرة بلا محبوبة وبلا صديق..
والصديق عجيبة

ثلاجة القاهرة بلا شيء تفعله

لا شيء البتة

***

لم نعد نذهب أنا وحبيبتي إلى الكافيتيريا التى سمعنا فيها الرجل يغنى..

تمثيلية

تمثيلية

الحب عندك عندك تمثيلية

جم حبايبك

ولاراحم

هى

هى

تمثيلية.

لم نعد نخرج أنا وحبيبتى إلى الكورنيش فتنزل السماء يافطتها:

[عندما لايجد العاشقان مكاناً يجلسان فيه تساوى الحياة صفرًا]

لم أعد أقول لحبيبتى:

[عندما لايكون بد من الفراق لأنه ليس فى أم الدنيا مكان يسـع العاشقَين]

تقول وهى تنظر إلى وجهى..

لم تعد الجرسونة تشيع فى الجو أننا تلاميذ هربانون من المدرسة
وهى تتستر علينا وتعلم أنها ستأخذ نصيبها فى العملية..
عاد أسفلت الشوارع يقتلنى
أنا الغريب المُنْبَتُّ.

٣

رسالة إلى صديقة:

التقينا مرتين

وافترقنا

تراسلنا مرتين

وانقطعنا !! ..

« هكذا أنا ثرثارة .. تصبح على خير وسأنتظر رسالتك ».

أمينة

٩٠/٥/٥

وهذه رسالتي يا أمينة وأكتبها بعد الثانية من صباح الإثنين ٩٢/٢/١٧ سخيف جدًا أن يكون رد الرسالة بعد عامين إلا.

لكنك بالفعل أو طبعًا لاتنسين حكاية الرجل الذى نزل من بيته ليشترى علبة كبريت ولم يعد حتى الآن.

أمينة .. لاتتصورى للحظة أننى قد نسيتك أو أهملت حميمية رؤية أحد الناس القلائل الذين يسكنون القلب بهدوء .. أو أن رائحة رمضان ورائحة الشعر والحزن اللزج يمكن أن تفوت الأنف أو تحل عن جدران الروح .. لاتظننى أبدًا أن رائحة فراق يتم ساعة اللقاء لا لشىء إنما لأن أى أحد يريد أى شىء..

لاتعرفين طبعًا ما تم بعدها ولم ترى ما اعترانى، كتبت ساعتها رسالة لك ومزقتها .. قد تكون هذه الرسالة هى الصياغة المثلى لأمها الفقيدة..

أمينة .. لماذا لم ترسلى لى ؟!

هل تقدّرين هذه اللحظة التى أكتب لك فيها .. هذه لحظة النبى .. لحظة القيام .. لحظة السكون الأعظم فى قرية جميلة هكذا أريدها..

هل أحسدنى أم أحسدك على هذا الخط الجميل الذى لم أعهده فىَّ ؟!

[حديثى على عواهنه لكنك تدركين جيدًا ضوء المصباح النيون الذى يملأ الحجرة .. وبياض الصفحة قبل أن يسير عليها الفلوماستر الأسود]

أمينة .. انظرى

من الورقة إلىَّ

إلى الحجرة

هل ترينني

انظرى فيَّ .. هل ترين الدنيا هنا ؟!

■ ■ ■

١٩٩٢/٥

١٩٩٤/٧

مَعْمِدَانيةُ الموت

لايمكننى الاتصال بقلبك .. لايمكنك
أريد أن أبكى .. أن أحضنك..
أنت قُربِى لا أستطيع .. تحسرتُ .. أنت بعيدة أنا طفل واهن
أنتِ امرأة كاملة أستطيع سحقها أنتِ قادرة علىَّ.

ـــ أنا أحب العُرى.
ـــ كيف؟
ـــ أجمل ما يمكن أن يراه الإنسان فى الدنيا الجسد العارى.
ـــ كلام كتب.
ـــ أنا أتكلم عن نفسى أنا أحب الجسمم العريان .. هناك ناس تخاف من العرى لاتستطيع أن ترى جسدًا عريان .. كثير من الأزواج يفعلون الحب فى الظلمة وبعضهم تحت الغطيان. كانت تكوى أمامى ملابس الأطفال مائلة راكعة .. قالت أنت غير الناس، وجهها كان ناحية الجدار .

أتمنى أن أفتح عليكِ الباب وأنت تستحمين..
أغسل بدنك بيدى

أحسه بأناملي كفي أنفي أسناني

أُعَمِّمُكِ بالماء.

لايمكنني الاتصال بقلبك .. لايمكنك

أريد أن أبكي..

أُعَمِّمكِ بالماء .. أراك تبسمين تضحكين تغنجين تنثنين تأوهين .. يقطر الماء على بدنك .. من بدنك..

لم أقل.

تريدني أن أفتح الباب .. لن تصرخ .. لن تخرجني أو توبخني .. ستضحك وتضربني بالماء.

لا أفعل.

لأنني أسير الفصل .. رغم أنني هجرت المدارس وعلام الحكومة.

تستفزني .. وأنا مكتفٍ بشرب الشاي.

تريدينني أن أغتصبك..

لماذا أنت حرون..

أَلُفُّ حواليك شِباكاً من كلام وأذرعي مدلاة..

حنانيكِ..

لِمَ تريدين هذه الطريقة

ألا يكفيكِ كل تلك السنوات من الغزل والهجمات المباغتة..

تريدينها حرباً .. تضمنين الفوز لى
أنت أنثى..
أيتها البكر السرمدية.
ما مقدار الأشياء التى يستحيل علىّ الحصول عليها
ماذا يجب أن أفعل لأنال أشيائى
ربما كنا نحن أبناء الحياة لننال أشياءنا وربما كانت أمنا لتختار أوقاتها.

أم أنكِ رأيت أكثر مما أرى نَفْسِى المكتومة ولهاثى بعد انتهـائى من السلم .. ورأيتِ تعبى بعد أن أحمل طفلك قليلاً أتركه..
خلاص أنا تعبت. يبقى الولد متشبثاً بـى .. لا لا أنـا تعبـت خلاص..
وتنهرين الولد .. إنك ترين نحولى وهزالى وتقدرين وهنى أكثر مما أُقدِّر.

***

ــ لا أستطيع التنفس ولا التحرك
بردان..
أطرافى منملة..
جسمى كما تراه.

فعلت ما يفعله المريض .. فعل ما يفعله الطبيب.

على غير العادة كان ضميره يقظان..
ــ كُل كبقرة
اكشف على صدرك بالأشعة.

ــ بالضبط كما هو مكتوب فى التقرير عندك درن رئوى
ــ يعنى أنا عندى درن!
قالت : أيوا
ــ أكيد
ــ أيوا عندك درن والله عندك دون فيه إيه!

كنت مرعوبًا وهى جافية وشمتانة .. لماذا أنت بشعة هكذا أيتها الحكيمة..

أريد أن أبكى وأن أحكى لها عن أشرف.

ـ ما اعرفش ليه الناس بتخاف من الدرن .. هتتعـالج وتبقـى كويس.

كشفت ذراعى لها .. بصى دا دراع أتحاسب عليه يوم القيامة !

ـ هتبقى عال بس استمر مع العلاج هو غالى شوية ومكلف.

ـ أمى كل ما تشوفنى طالع على السلم تقول لى يا شـبابك يـا ولدى فين صحتك.

«انت عندك درن» قال أخصائى الأشعة .. فظهرت الرؤى ..

مرض قديم

يأخذ صاحبه إلى البلاد البعيدة حيث الحور وأباريق الثمالات

وأرائك المتعة ووجه الكريم.

تذكرت راقية إبراهيم .. (اللى مالوهش أهل الحكومة أهله)

تذكرت مدير البنك وهو يئول (أهلك لَتِهلّك) ..
ثم أولّت المثل كيفما أهْوى
كانت الشمس حادة والأسفلت حارّا والفصل شتاء
بردت من جُوّاى..
قلت: الحواس والأعضاء والمشاعر مدرونون جميعًا..
جميعًا ..
أين تُحجب يا صديقى التجارب والخبرات فتتف الذات لحظة أو لحظتين على أرض الجهالة والضآلة، ويبدأ الضمير دورة أكـل الذات ناشفة بلا تاريخ ؟! من أين تتفجر الخبرة والحكمة عندما تأتنس الروح إلى روح، فتهيم الشخصية فى سهوب خبرتها ذات المروج ؟! مالذى يصهر تاريخ الذات المديد فى طريقة الكـلام مع الصديق أو الحبيبة أو فى التهندم والتطيب والمرور فى ثنايا المجموع المجتمع أو المتوزع؟!.

ـــ إيه هو الدرن دا ؟
ـــ مرض زى السل بيموت يا أمى.
ارتعبت قليلاً أمى .. ربما ارتعبت كثيرًا فهى أمى..
ربما تذكرتْ راقية إبراهيم..

استبعدتُ فكرة أن أحكى لها عن أشرف .. أخصـائى الأشـعة جالس فى حجرة ضيقة بابها زجـاجى بنـى مكتـوب أعـلاه (الطبيب) بخط نسخ بارز متقن .. ملصقات أدعيـة وأحاديـث على الزجاج .. الحجرة مكيفة .. بها كنبـة صـغيرة ومكتـب بجوار الباب وكرسى وشاشة مضيئة .. الأخصائى قصير متين مُسِنٌ يلبس نضارة عريضة بنية تناسب وجهه .. فى صـرامة غير كارهة غير محبة قال .. انت اتعالجت مـن درن .. لأ .. كان عندك درن وانـت صـغير .. لأ، ببسـاطة قـال وقـوة وسهولة .. عندك بقايا درن قديم، كان يكتب على ظـرف بـه صورة رئتى كلاماً .. أدركت أنه لن يحفل كثيرًا بأمر أشرف .. البخور مع هواء المكيف والفلوس .. ربما حصنوا روحه.. ولعله رجل رقيق.

***

فى ركن أنا..
الآخر فى الركن الآخر.
اثنان يقفان على ناصيتيه .. خلف الباب مغلقًا ..
لمبة صاروخ تدفع اللهب إلى الأعلى..
اللهب يدفع خيط سواد ناعم يستشرى فى الغرفة لتصير حبسًا
أشرف يدور بظهره يقدم لأعيننا عورته .. يمدها لأوجهنا ..
طأطأ الآخر رأسه.

أذكر أننى حاولت أن أرى عورته لكن عينىَّ لم تلتقطا المنظر،
لم تحتفظ ذاكرتى له بصورة.

تخف العتمه .. فى الغرفة .. فى الحبس يحكى لى بخفوت حلمًا.
أنت تحب قريبتك وهى تحبك .. الحلم قال إنهما تآتيا، والله ما
بست مَرَه أبدًا، تتمناها، لأ، يبدو عليه أنه بُوغِتَ وأنه يتذكر
أشياء ممتعة حدثت بهما، لا أشك فى أمر العلاقة تلك، السيدة
أراها بيضاء، كأن البياض صفة لذاتها لا لجسمها الرَّخى، لا
أشك فى أنه يتذكر مواقف جسدانية زجحت محبة وطيبة.

يتحاكيان على سلم .. على عتبة .. فى صالة

يتناوشان فى مطبخ..
تعبت فى أعضائه على سرير .. على كنبة.
من أين جاء اليقين؟
اليقين ابن البصيرة .. يهب الذات طمأنينة
التصديق ابن العقل .. يهب التصديق العقل راحة
أضع الفوارق وأتوهم الوعى .. أتوهم الوعى وأضع الفوارق.

لاتخجل يا صديقى .. اذكر .. خرقت الناموس الطبيعى ورأينـــا عورتك ..
مم تخجل .. من حب امراة، ولاتخجل من المساعد فى طـــابور القائد بشهادة الشمس والجنود .. يقترب منك .. يعدل لك ياقـــة الأفرول .. يضبط لك الطاقية على رأسك .. الطاقية ضـــيقة .. يبدّلها .. المساعد طيب منهمك لا يرانى جارك لايرى الجنـــود لايرى الصباح،
اذكر .. لم تكونا تخجلان.
فى قاع الجب تخجل من البوح بحب امرأة تذكرتُ صباح تقــف أمام حبيبة فريد الأطرش الثرية تقول (أنا عالمة لكن بشرفى)،

ماذا يفعل إنسان ترمى بمرارة الحقيقة فى حلق روحه، ماذا يفعل إنسان تفتح شبابيك عينيه على فسحة الحقيقة فلا يجد مـا يريـد لايرى شيئاً مما يتوقع، أيترك نفسه للمرارة أم يدفع فى صدرك سهم جنونه وتهتكه وتبعيته لتصير مجنوناً متهتكاً ومخبراً، ماذا تفعل مؤسسة العقيدة وأرباب المصالح عندما تدخل بقرنيك فـى الهيكل فتهتز الدعائم وتسقط الصور،

ستركب ياصديقى العربة السوداء إلى الفضاء الأسود لتتورم ثم تدخل زمن السفافيد الحالك الجمرى ثم تترى الأزمنـة بألوانهـا الخابية والقاتمة والفاقعة والمتوهجة.

***

إنسان يُعدُّ نفسه لخدمة الوطن، أو حتى يريد أن يخدم نفسـه، لا يجب أن يترك نفسه للحزن.

الحزن من مشاعر الموت.

عندما تحزن تصير مُقعَدًا، سأمان، لاتنتظر، تقرف من الدنيا من الناس، تهون عليك حياتك، تقترب من الأماكن التـى تسـتروح فيها، التى يكمن فيها الموت:

الكورنيش الكبارى التى على النيل، تشم هواء ينطلـق، تتـرك صدرك ينفتح لسهام الريح، تنظر لصفحة الماء تحتك ممتدة أمام عينيك، ترتاح للهواء الرطب ولرفرفة القميص أبيض أو برتقاليًا حريريًا، يريحك انغمارك والظلمة كامنة فى الماء تحت عينيـك ورجليك، الموت ليس بعيدًا الخلاص ممكن .. التخلص ممكن، طالما أن الإنسان قادر على الإرادة، فالانعتاق ممكن والوقـوف على سور الكوبرى..

يُشَهِّدُ .. هُبْ .. خلاص .. بقبق .. خلاص .. فِطِس .. خلاص يا سَعْدُه يا هناه .. مات.

الحزن ابن العجز، فقدان الحلم ابن العجز، الرغبة فـى المـوت بنت الفشل، الإحساس بالفشل ابن الجهل، الأنبياء كانت حقائقهم

بعضًا من الحقائق .. كلهـم ورد سـندان العامـة وانضـرب بمطرقتهم المتدبرة .. المشايخ رأوا دحور السموات والأرض .. لبسًا صاغوا العبارة وقيل إن كنت تفهم فافهم وما نجوا.

دوران المال .. والتسلسل بدوران الأقساط واسـعة المجـال .. والراتب .. قادرون على القضاء على الذات.

تم تعليب الشعب والتاريخ .. هل!

الحياة هبة الطبيعة، الحلم ابن الحياة

الإنسان العاجز عاجز، العاجز المستكين ميت، والرحمة لاتجوز إلا على الميت، العاجز المتحفز حى، والحى يُستدعى ولا تجوز الرحمة على الحى .. لو سـكت أربـاب الحقـائق سـيخونون أنفسهم.

الحُرُ أصبح غير قادر على الفعل داخل مسيرة الزمن أى داخل حرم التاريخ .. أصحاب المصالح صاروا أكثر قدرة على إقصاء أكبر الأحداث عن مجرى الحدث العام، صار الحدث الحقيقـى خارج مسار التاريخ، أقاموا مسارات قهرية وغبية غباء مطلقًـا من شأنها أن تجعل قتل أمة حدثًا عاديًا.

جسدى لم يعد يحتمل الحر.

أخرج من غرفتى تلفحنى الحرارة وكأننى فى جهنم ..

لا أحتمل الحرارة..

أعود إلى مرتبتى المرمية على الأرض، تدور المروحة المعلقة فى السقف، تدور بالسقف، صارت الحجرة طائرة ستقلع الآن ستتوه فى المسارت بين الأفلاك المروحة تدور نحو الأسفل ستسقط بالسقف يسقط النوم.

***

الثانية صباحًا
في البعيد تعوى كلاب
الشيخ عبد الباسط يقرأ قرآنًا.

هل عاد يحمل إليّ فكرة أن فناء هذه الأمة مستعص.

فى القريب واحد يشاركنى الليل..
يضايقنى
فى مكان ما .. يموء قط .. بالمنزل.

هواء بارد يتدفق فى الغرفة من شباكين كبيرين .. يهز الهـواء فرش الكنب .. تسطع حمـرة السـجادة .. بعيـدة ومسـتحيلة حبيبتى .. ماء باردًا أضع فى البراد الألومنيوم .. يـد البـراد مكسورة .. الهواء يتدفق يثلج صدرى وأرى أن هناك علاقة بينه وبين ازدياد إحساس بأنى فقدت زمنى ولا أجد ما أقاوم به الفناء تحللاً .. وحيد وغير قادر على استجماع ذاتى متبعثرة فى أنهار سبعة ممتدة عبر أراضين سبع وسموات سبع، أشـق ليمـونتين أعصرهما فى الإبريق يسقط قشرهما فى ما ء الأبريق، وضعت

الإ بريقْ فى فريزر الثلاجة صرت أحزن وأستوحش حتى تثلج الماء بعصير الليمون بالسكر بالقشر.

صرت أمصمص من البزبوز أسمع مصمصتى .. الإبريق بـــين راحتىَّ..البزبوز بين شفتى .. لكأنى أعرف جســدًا لحبيبتـــى .. أرتد إلى الذاكرة أتحسس الذكرى .. إن لجسمى معرفة بجسمها (عجبًا) تشبثت بالإبريق مصمصت شربت انهمكت حتى البكـــاء (عجبًا).

***

ــ اقف صفا روسى

ــ ما اعرفش

ــ كيف متعرفش، مش متطوع، أقول لك تقف صــفا روســى كيف..

إيديك ورا ضهرك .. خبطه فى رجله ببوز البيادة

افتح رجليك

انزل براسك للأرض

كمان .. كمان

وقف أشرف اعتدل أشرف .. قال أشرف .. مش قــادر، لَطّــه على وجهه .. أمال عامل فيها راجل وخلاص أقف صفا روسى لَطّه لطة مفاجئة كاد يسقط أشرف التقفه سيد .. اسم الله عليــك اقف يا حبيبى اقف ..

وضع يديه وراء ظهره

أفسح ما بين رجليه

ثنى عوده للأمام

نزل برأسه صار ينزل ينزل قربت رأسه من الأرض لامست الأرض سقط بكليَّته على جنبه اليمين ارتطم بالأرض وقف بسرعة وضع يديه وراء ظهره موسعًا بين رجليه قال معلش أحاول تانى.

رُزق الإمام على بن أبى طالب بمولود من السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم أسماه على حربًا، قال جده المصطفى بل هو حسن، وعندما رزق بمولد ثان من فاطمة أسماه حربًا، قال جده المصطفى بل هو حسين وقبله .

قُدِّم على قرباناً لشرف بنى أمية

أُخِذ الحسن قربناً لروح معاوية قلقًا

والحسين قرباناً أُخِذ لجسد يزيد نزقًا

وأخذت البشرية قرباناً لابنى سام المدللين

انهمك الأشرف فى كتابة

انت تعرف تكتب ؟

أيوا يا راجل دا أنا طالع من أولى اعدادى

ونجحت ؟

لأما امتحنتش

أخذت منه الورقة كانت منكوشة لأمه، لك اخوات يا أشرف

أخ واحد فى السعودية ها اكتب له جواب.

إنها صولة الليل .. إنه احتشاد الظلمة

انقذف صوت رضا من الفتحة العالية قام أشرف فزعاً أعطــاه الجوابات فى الظلمة .. قل لها هو فى مأمورية وهيتأخر وترمى جواب اسماعيل فى البوستة متنساش يارضا والنبى قل لها فــى مأمورية وهيتأخر طمنها هه..

قلت فى سرى قل لها أكله قطر.

إنه احتشاد الليل .. إنها صولة الظلمة. صولجان السواد ..
بجوار صفيحة البول وقف .. إنه إخناتون بحلته الملكية .. متعلقًا بأستار الروح يترنم بصوته الإلهى ..
استيقظى أيتها الخبرات النائمة
اجتمعى إلىَّ أيتها الأرواح الشاردة فى مهامى
لاتبغتى هذا الرجل الطيب بالحضور ثم تفجئيه بالغياب
لاتطيلى الغياب
أيتها الجمل المرعبات
أعطينى ضرعك أُنَعِّمْ أنفى ووجهى فى نعومته

هبى حلقى لبنك الفواح بالدهن والرجس
أيتها الجُمل البيضاء تعالى إلى صالات النور
ثم كونى ما شئت وافعلى ماتشائين
فى رياض الوجود.

***

كشف غطاء الحلة اللامعة
يخرج بالملعقة أصابع كرنب
تمنيت أن يكثر
يضع أصابع الكرنب فى طبق مغسول
فتح حلة صغيرة
يخرج قطعتى لحم سأذوقه باردًا طازجًا
أكلت بنهم
ليس فى الأمر خديعة.

لما رحت أمضى منه التقرير، قال لى .. انت تعبان قوى اقعـــد ارتاح، قلت له .. معلش أنا مستعجل، قال لى .. يا راجل اقعـــد بلا وش يلعن أبوهم، سيبك من التقرير دا دلوقتى اقعد اشـــرب شاى.

أشعل فتائل الوابور

الجو خارج المبيت برد شديد
وضع الماء فى الإبريق
ارتفع لهب الفتائل ناعمًا حانيًا فارشاً ضوءًا خفيفًا حول الوابور
انتشرت رائحة الجاز
سحب علبة عليها طفل صبوح فيها سكر، من تحــت الســرير
فتحها أخرج باكو شاى أخضر .. مرسوم عليه إبريق أزرق
أجود أنواع الشاى فعلاً
شاى البراد الأزرق
شاى بجد
قلت له ذلك. قربتُ منى الكوبة الزجاجية مغسولة فاحت نكهــة الشاى شربت متكيفًا نهمًا .. شردتُ .. رآنى شاردًا متكئًا على الحائط سحب الدفتر .. صار يكتب بخــط عملــى جميــل — التقرير .. وتم تسليم النوبتجية سعة .. خطك جميل يا حصول .. أعطانى الدفتر شكرته قال لى وهو يقف على عتبة الباب .. مع السلامة .. كأننى مسافر، غسلت يدى .. كان قد قطَّــع برتقالــة أربع شرائح .. قدمها لى .. أنا عارف انت بتحب الشــاى كُــلْ البرتقالة دى على ما اعمل لك شاى .. هــذا الرجــل يحــب النظافة .. خد رايح فين .. هارمى القشر برا .. مــد لــى يــده بكوب الشاى .

أم حمادة هى اللى بعتت الأكل دا،

دا كان كتير،

ودا اللى باقى،

جم كلهم امبارح كلوا ومشوا،

وضع يده تحت المخدة .. أخرج ساعة من جراب بلاستيك ناعم، ساعة جميلة حقًا

أم حمادة بعتتها لى هدية عيد ميلادى أصل أنا عيد ميلادى بعـد اسبوع يوم ٢٨

قلت انت بتصدقنى لما أقول لك إن أجمل ناس خلقهم ربنا نـاس المنصورة

قال لى .. دا من زوقك يا حمادة

اختنق كاد يبكى.

أخرج لى صورًا لزوجته وأولاده

قال لى .. هذه زوجتى

ثم قال .. هذا ابنى حمادة يارب يطلع زيك كدا بس هو متخلـف عنده شوية تخلف عقلى، ثم قال لى .. هذا ابنى الصغير، أرانى صورة زفافه وصورة له أيام كان فتى، ذكر لى تـاريخ زفافـه

وكم كان عمره عندما تزوج وكيف أنه كان نحيفًا ثم سمن حتى أن جميع بنطلوناته بعد الأسبوع الأول من الزفاف لـم تسـعه، حكى لى ذكريات يوم الزفاف .. أمه، أبوه، أولاد خالـه، بـاقى عائلته، حكى لى حكايات عائلته.
كنت أقول لزملائه .. إنه رجل طيب لايؤذى أحدًا وأنا أحبه ... فيضحكون وينظرون بأطراف أعينهم.

أعطانى رزمة ورق
فتحت أول ورقة .. سميكة من ورق التصوير ٨٠ جرام .. فى أركانها الأربعة صور زوجته وولديه وبنت أخت مراته .. هـى اللى بتكتب الجوابات إكمن خطها حلـو، خـط البنـت جميـل وذكورى .. لم يعكر مزاجى ما خطر لـى بشـأن البنـت ثـم استغربت جمال أم حمادة .. قوة بنيانها واعتدالها .. يبدو أنهـا قليلة الهزل .. محترمة .. تقف على الشـاطئ .. البحـر أزرق خلفها .. شعرها غزير وفير .. تلبس بنطلونًا يناسب الشاطئ .. أسود .. فتية أم حمادة .. قرأت خطاب البنت.
تصور محدش راح لها مـن اخـواتى وبابـا مـاراحش لهـا خالص ..، هو ابوك حى ..، آه عايش دا صغير وفاتح سـوبر ماركت كبير تحت العمارة اللى فى وش العمـارة اللـى فيهـا

شقتى .. بص بعتت لى أم حمادة الراديو دا عشان أتونس بيه أنا ما اسمعش الراديو بس طبعًا دلوقتى باسمع منه القــرآن طــول النهار مافيش غير القرآن الكريم وبالليل أسمع منه أى إذاعة أهو الواحد مفيش حاجه يعملها غير إنى أسمع قرآن واصلى وأقــرا قرآن وبالليل أسمع الراديو شوية وانام.

وأشرف طول النهار بيصلى ويقرأ قرآن .. (صار كمــن ردت إليه الروح .. أو انتعش كمن دلقت عليه ماء مثلجًا). إزيه إزى أشرف، كويس ..، بتضربوه، انت عارفنى أنا بتــاع ضــرب؟ طرطم أشفاره اختنق.

الواد سعيد ضربه، قالوا لى الكلام دا

دا من بدرى

الأيام دى مفيش حد بيضربه ؟

لامفيش

أنا سمعت ان الولا سيد بيضربه

أمال .. هايسموا عليه يا ابو حماده ..

قال لى .. سلم عليه

قلت .. يوصل

قال .. هتسلم عليه

أعطانى برتقالتين كبيرتين متوهجتين مشعتين
تذكرت أحلامى ذات السماء البرتقاليـــة المتوهجـــة وطيرانـــى
أعطانى جزرة حية ضخمة
شممت حلاوتها
قال لى أعطهم لأشرف
كنت واقفًا طويلاً وهو واقف قصير مقترب من جلالتى .. دافع عينيه لأعلى بدا لى البياض مالئًا مساحة عينيه تحــت النـــين المعلقين بدا خبيثًا وكامرأة تغنخ لزوجها من بعد، قال غامزًا ذلك الرجل وقد كان بعيدًا يعيش لحظة باردة بعيـــدة مكانهـــا قـــاص ومستحيل .. قل له أم حمادة بتسلم عليك أنا بكرة هاتصل بيهـــا بعد المحكمة إن شاء الله.

***

فى شارعنا الضيق.
تحت المشربية التى فى المقدمة
فى غبشة الوقت..
فى هدأة الفراغ المطمئن
التقيت امرأة .. إنها أميرةُ .. يا ويحى!
أخذتُ يدها صامتًا
بست خدها غير مبتسم
بست خدها متوحدًا
أخذت من خديها لها روحًا بين شفتىَّ
تهامست تلامستْ تناوشت تفاوحت ذؤابات أنفينا..
أخذتُ عودها الفارع إلى سموقى
ضممتُ صدرها الكنز إلى صدرى الرحب ..
أحطتُ بالقبَّة الخضراء،
وضعتْ راحة متقدة على ظهر يدى
حطت يدى فى مكمنٍ للنار
عيناها سِرّى وجهها مكنونٌ
ستى يا تاجى ومجدى أباهى بك .. أصعدُ
أنت المختار لمعاينة الذات ياحلاج..
حيث النعيم بلا جنة وحيث النعيم فى النار..

ستى ستى اشْهَدْ أن أميرة ستى .. يا حلاج..
هبْ لنا الذاتَ مُطْمَأنًا ونعيمًا هب لنا النعيم فى النار.

***

خاض معى (الفرفور) أحراشًا وهو يجرى بسهام لقتلى
أمنحه شرف الأستاذية
يرفضه
أحجب عنه شرف التلمذة
يحتد بغضب.
كلما اتضعت حلف بالله أننى كبير
كلما تواضعت بشرنى بمستقبل
كلما رأيت ذاتى عالياً طردنى وهو يصرخ... امش يا بن الكلب،
كلما بكيت أعطانى روحًا من أرواحى أستريح إليها

(عندما تهرب من بين جنبيك التـــواريخ والحـــالات والكينونـــة والجدل
عندما تصير جسدًا فُرِّغ من غرائزة وروحًا فُرِّغَتْ من شوقها
تدور حول نفسك
وكأرض تركتْ مدارها..)

كلما هممت لقتل روحى .. قال : إن الذين يحبون الوطن سيخسرون بدونك سيخسرون لو لم تكن معهم.
كلما هممت لقتل روحى .. جاءنى من حوارى المدينة وشوارعها وشققها ومؤسساتها يقول : أنت معزوم إلى العشاء الليلة عندى.
فى مساء اليوم التالى .. شربنا جيدًا وكثيرًا .. ودعانى لقضاء باقى الليل فى منزل بعيد على المواصلة التى سنركبها أن تسير على جثث الموتى الكثيرين الذين صاروا ذرًا وغبارًا، يمكن أن تستعصى جمجمة أسفل العجلة لتصنع مطبًا مزعجًا.

الموت يبعث غزلانه النافرة الحرون ..
تغازلنى وتشدنى إلى براريها،
الموت يبعث ثيابه البيضاء وأحصنته البيضاء ويبعث النور ليغوينى بالأبيض،
الموت يخزى أمام التعاويذ والتراتيل والأمنيات الصادقات ثم يرجع إلى ملكوته
لكنه لايريد أن يتركنى حتى بعد أن صرتُ صانع ملة.

جاء بالكاسيت كأنه يقوم بفتح عظيم .. داس علـــى الـــزرار .. بقيت أسمع بقى يقلب فى أوراق .. ثـــم صــــار يحـــدثنى عـــن محبوبته .. ثم سكتْ .. أخذت أبكى .. وحدثته عـــن أول مـــن فتحتُ عينىَّ عليها ولم أخرج من حديقتها.

***

لا أحب الشيوعيين، ولا الشيوعية، ولا أعرف عنها كثيرًا غير
أن هناك كثيرين يضمرون لها الكره
لكن ليس مثلى.
لأعرف كثيرًا عن شعب المذهب ورءوسه ولا أعــرف عــن
أسرار الحركة فى العالم كثيرًا
يكفى كى أتخلص من جهلى سنة مثلاً والكتب الأصول.
لكن المشكلة ليست فى الجهل
إنما فى الكره.
فمن أشد المليين الذين أكرهم الشيوعيون.
ربما كان سر ذلك هو أن العقاد لم يكن شيوعيًا
وربما لأننى قرأت أن أحد رءوساء المذهب قال (الدين أفيــون
الشعوب) والدين ليس كذلك
إنما هو النظام .. حساب وعقاب .. البعرة تدل علــى البعيــر
والأثر يدل على المسير.
الشيوعيون هؤلاء يدخلون السجون فى الدنيا
كما سيدخلون النار فى الآخرة
أى سوء فيهم حتى يكرههم الله والناس
العقاد نفسه يكرههم ويكره الشعر الحر

مع الزمن ومع تبصير أصدقائى لى تخلصت من كـــره العقـــاد للشعر الحر ربما لأننى منذ عرفت الكتاب والقـــرآن والقـــانون كرهت العروض ولم أر له فائدة وكرهت القافية ولم أمارســـها سوى العام الثانى الثانوى العام الوحيد الذى كتبت فيـــه كلامًـــا أسميته شعرًا

ثم نسيت الأمر برمته حتى أُفهمت معنى الشعر فى عمق الغيابة.

أول واحد كرهته فى القاهرة كان يتعامل (كما رأيت) كأنه إله ثقة عجيبة .. رضى واقتدار كامنان فى ذاته ليس لهما أى مبرر (كذلك رأيت)

سألت عنه، قيل إنه شيوعى

فرسخ كرهى له ثم صار أول ما أراه فى أى شيوعى أنه يتألـــه وتألههم ليس من ذاك التأله الحنون الرفيق الجليل، إنما هو تألـــه متكبر يعرف النواقص فيك والكوامل فيه، يفهم الغـــامض فيـــك ولاتفهم الواضح فيه، يعرف عجزك ولاتعرف قوته، كل ما تقوله سقيم كل ما يقوله سليم.

وعقدت العزم على أن أثبت أنه لايجب على الإنسان أن يكـــون شيوعيًا كى يصير عظيمًا، وحلفت ألا أقرأ كتابًا لا من الأصول ولا من الفروع، ثم وجدت أنه من الضرورى أن أقيم علاقـــات

مع أفراد هذا الفصيل، علاقات مبنية علـــى أن يـــروا جهلـــى بالنظرية، حتى ينصفونى عندما تتخلق عظمتى.

زملاء الفرفور صديقى كانوا من هذا الفصيل

بلغنى أنهم أخذوا منه حبيبته.

حُكيت لى القصة بصيغة فهمت منها أن الحبيبة سلبتْ وأنه كان سلبيًا (عيَّرَنى) أمام ناس بقلة إمكانيـــاتى وبضـــعف مســـتواى وبجهلى، سخر منى استهزأ بى بلا مبرر واضح لى

فقلت له..

الرجل إذا لم يكن قادرًا على حماية حبيبته فعليه أن يفعل شـــيئًا آخر غير أن يسخر منى.

قلت له:

إن الذين علموه النظرية سرقوا عقله .. والرجل إذا لم يكن قادرًا على حماية عقله فعليه أن يفعل شيئًا آخر غير أن يستهزئ بى.

شتمنى .. شتمته..

توعدنى .. توعدته .. بل وطلبت المبارزة

انهار مؤقتًا .. اعتذرت له .. طلب أن أتركه ووعـــدنى بقبـــول اعتذارى .. وربَّت كتفى

أنا لا أحب أن أهين أحدًا

ألأننى غنم قاصية أهاننى الرجلُ.

قبل أن تتخلق عظمتى تحللت الأنظمة الشيوعية.
تهاوى الذين أقمت علاقى معهم ... انهاروا
قديمًا عندما اكتشفت أننى تخليت عن أكثـــر أفكـــارى القديمـــة جوهرية، كان ما يشغلنى هو أن أتحاشى رذاذ بولى ذى البخر،
قلت لصديقتى .. اكتشفت كذا كذا قبل أن أجيء
قالت .. وانت فى دورة الميه .. إيه النُبل دا
كنت فرحان وهى قالت .. أنت مجنون .. أنت صادق .. ياولدى الذى ليس من بطنى.
لكننى أذكر جيداً أننى لم أسألها ولم أسال أحدًا عمن سيُرمى فى الغيابات بتهمة الوطنية، وهل على الناس فى الشرق والغرب أن يتفلسفوا ويقيموا الدول كى نرفع (نحن) هنا لواء الوطنية.

***

قام الأولاد بإهدار كمية من الطاقة
وقتلوا الفراغ وتدللوا .. وضججوا .. واحتجوا .. ورفضـوا ..
وطالبوا .. كانت متكدرة .. كنت طفلاً فرحان ساديًا .. قلت ..
أنا فرحان فيك فرح .. اتكأتُ وضحكت بخفة ومرح حقيقـي ..
غضبتْ .. افرح يا خويا ربنا يرزقك بولد ولابنت تكرهك فـي
عيشتك..
قلتُ .. لأ أنا ها خلـف أولاد وبنـات حلـوين ومـا يبكـوش
وبيضحكوا ودايمًا مبتهجين .. «يا سلام .. ليه يعنى» علشان أنا
ولد طيب وربنا بيحبنى قوى، انغاظت وتـود أن تقـوم بقتلـي
بسكين مطبخ طويلة .. قالت .. انت طيب! دا ربنا هيدخلك النار
وهيشويك شوى .. «لأ أنا هادخل الجنة» .. هـو بكيفـك.! ..
«أصلى أنا باحب ربنا ومش معقول هيدخلنى النـار » .. لمـا
نشوف « دا انت هتشوفى شوف .. تعرفى وانا قاعد كـدا فـي
الجنة ومبسوط ومش لاقى حاجة أعملها تعرفى هاعمـل إيـه؟
هاطلب من ربنا حورية وهاطلب واحدة كان اسمها فـي الـدنيا
أميرة وهى الآن فى النار .. وبعد كدا أفضل أنـا أحـب فـي
الحورية دى حب مفيش كدا وأخليك انت تبصى علينا أفضل أنا
أحب وانت تفضلى تتغاظى لغاية ما يطق لك عرق» ولـو مـا
اتغظتش؟ « .. هاطلب من ربنا يخليك تتغاظى .. أنا أحب الست

الحورية وانت تتغاظى لغاية ما يطق لك عرق» قالـــت وهـــى تتفحصنى وتريد أن تنقض علىّ بشاطور جزار .. وبعيدن؟ .

قلت .. أنبسط وأفرح .. قالت .. وبعدين؟ قلت .. وبس أفضــــل أنا أفرح لغاية آخر الدنيا.

***

منذ المرة الأولى التى قابلنى فيها الفرفور عرفت أنه يريد أن يلعب بى .. وأنه سيدخلنى حقل التجارب ليكتشف صدقى من زيفى وضعفى من قوتى .. كان يرانى حقلاً بلا سور .. كنت مؤمنًا بأننى محمى ومحفوظ.

ساقنى .. أجرى وراءه مسافات لامعنى لها ثم يغافلنى ويرمى نفسه فى أتوبيس، يلتقى أحدًا فيتركنى بلا استئذان، يدخل بى شارعًا ثم شارعًا ثم حارة وأمام بيت قديم يسلم علىَّ ولايشكرنى على التوصيلة .. ثم أعرف أن المنزل بيت العائلة، وأنا راجع أتوه وأقاوم إحساسًا بالعدم.

يتحدث إلىَّ كمن يلقى قرارات مجلس الثورة، وعلىَّ أنا فقط وبالتحديد القيام بموجباتها.

يتحدث باستمرار كأنهه لايريدنى أن أسمع ولايريدنى أن أفهم يتحدث وكأنه لايريد أن يسمع. كنت أتابع بدقة، فأنا على يقين من أنه سيقودنى إلى حدائق لا أعرفها.

كتبت لحبيبته وقلت .. إنه كان يعاملنى معاملة كفيلة بقتل قبيلة من الأنبياء، أخبرنى أنه تحدث معها عن ذلك ولم يخبرنى لماذا،

لكننى لا أشك فى أنه أهاننى، بينما أشك فى حقيقة انهياراته التى كثرت فى الفترة الأخيرة، وكان علىَّ أن أتعامل معها بحذر، لأنه ضد الانهيارات، وعلىَّ أن أُرضى خبثه حتى ينتهى من الفصل الكارامازوفى غير الشيق، قلت .. عزيزى إنك مســحوق بمــا يكفى وعارف بالأسرار لدرجة تمكنك من أن تكون السبب الذى سيودى بالملك سليمان وهو على عرشه متكئًا على عصاه ينظر أمر ملكه.

وانتشى.

ستجىء اللحظات الساخنة الفائرة بركانية البهجة،
تعطينى من خلاصتها ..
مهما طغت على الذاكرة الأيام الفاترة الميتة،
فإن القلب لايستنيم إلى أبدية الفتور والموات ..
الروح المتحفزة الصاعدة فى سموات الشوق ترى أن المبــاهج آتية على مركبتها ذات الجياد البيضاء ذات الأجنحة التى تــدفُّ فى سموات اللذة فى طريقها المحمر إلى أرض الغريزة.

***

جاء الإنسان إلى الأرض، وجد النصائح الإلهية مكتوبة بالسحب ملونة، حفظتها الأجيال، صارت النصائح منحوتة على جـــدران الروح السرمدية .. أحبوا بعضكم .. باركوا لاعنيكم..
لاتُدن أخاك الإنسان.

على ألفى طالب أو أكثر كنت ألقى شعرًا فـــى صـــباح الشـــتاء الدراسى للمدرسة الثانوية .. أقف أمام المايك يتأهبون للصـــمت يصغون ينسجمون يفرحون بى فرحًا جماعيًا فيشـــكرنى مـــدير المدرسة.
أشك فى أن هناك واحدًا يكرهنى، جميعهم يتصورن أننى أعرفهم فيصافحوننى ويلقون علىَّ السلام وأزاهير المحبة، لم أقدِّر ذلـــك جيدًا ولم أجد له مبررًا سوى أننى أحب الله، لذا فهم يحبـــوننى، والملائكة تحبنى والرسول والصحابة يحبوننى بلال والصـــديق وعلى، وعلمنى خالد محمد خالد حب عمر وأقنعنى أنه رقيـــق القلب وحاد المشاعر، ولم آسف لأن جسمى ليس كجسم الرسول أو كجسم عمر .. فأنا لا أحتاج بنيانى فى شىء .. إننى أعشـــق النور.. الله نفسه نور.. كلما رأيت الشمس أو نظرت فى مصباح منير لا أشك فى أننى أرى ربـــى ولا أخـــاف أو أرهـــب بـــل

أبتهج .. اخترتُ الله والنور، كنــتُ أعلــم أن الاختيــار لــيس للملائكة.

ياالله .. رأيت جنانك ورافة راهجة راعفه ساكنة راعفة يقظـــى فائقة ورائقة مائعة وتلدن ترقى وتسفل.

ياالله .. جنانك للخلق مبذولة ولايعرفون، عارفون ولا يشكرون، شاكرون ويقتربون من الزهادة أو ينتهون.

***

فى ظلمة انسلختْ من ظلمة ولجتْ ظلمةً ــ لَــجَّ الــزمن بــى.
اجتمع الهم رزح واستقر، الحموضة مبســوطة أســياخها إلــى
آذانى، النار التى فى صدرى دبت فى البطاطين، ســجائر ســيد
تعرف طريقها خلل الظلمة إلى صدرى .. انتابتنى رغبة فجائية
فى قتله .. سيد هاحط مربى فــى شــعر أشــرف .. ضــحك
واستغرب .. لن ينام الليلة سأدعكه بــالمربى .. أخــذ يهــدئنى
ويقنعمى بأن المربى ستدعك البطاطين، وبعد كدا لازم يستحمى
فى الصبح وانت شايف مفيش ميه نشرب، بدا لى الأمر مقنعًــا
وهدأت نفسى .. ثم وجدتنى ألف بطانية وأتقــدم علــى يــدى
وركبتى نحوه كبست على وجهه بالبطانية أخذت أزعق مــوت
يابن الكلب موت أخذ يتفلفص هاموت ياسيد موت يــا (......)
يابن (......) أنقذه سيد بمعاونة الشديد القوى .. زجاجة الكحــل
التى شربها جعلته يضحك كنت أغلى .. ليه كدا .. دى أول مرة
تمد فيها إيدك عليه، من فضلك يا سيد الواد يقف عنــد البــاب
بسرعة .. وقف .. لم أره .. ولعْ عود كبريت .. ممعــاييش ..
عرفت أنه وقف اندفعت تجاه الصوت بالبطانيــة طوقــت بهــا
جمجمته موت موت صرت أصرخ وأجعر خنقتــه فعــلاً كــان
هيموت لولا سيد، أجلسنى وأعطانى كباية المية، كنت عطشت،
جلست فى الركن مستذئبًا الواد دا إما أدهنه كله مربى أو أموته

أو يدخل صفيحة البول، واصل سيد ضحكه مستمتعًا بغضبتى، أول مرة أهيج، فرح، صرت شريكه فى تعذيب الأشراف، بل صار منقذه وحاميه، دا كان هيموته لولا حشته، بالبطانية وكتم أنفاسه كان هيفطسه، حشته منه بالعافية.

وجدت حكاية أن يدخل الصفيحة مش ممكنة، ضحكت بصوت مرتفع قلت .. فار إيه ونيلة إيه، تخيلت أنه بمجرد أن يدخل الصفيحة سيصير فأرًا فأعلقه من ذيله وأشكشكه فى بطنه وعينيه ورأسه ثم أقطِّع أجزاء صغيرة من الذيل.

فى الجبِّ .. فى القاع .. فى طوايا الظلموت .. يُدَوِّم الزمن .. انعدم المكان .. انطمست الهويات .. استبدلت جلودها الكائنات .. اختل الناموس. تغيرت الأدوار فى مسرحية البشاعة .. المسرح مظلم الصالة مظلمة المشاهدون مظلمون .. اليقظان الغبى لأنه المشاهد لانطماس الكينونة المشتعل المتوعد المنطمس اللاهج.

أى خلل بالذاكرة يخلخل أركان الوجود، لا أقوم بنزع الجلد عن اللحم لأننى محب للتعذيب، لكن لأننى محب لله، سأنزع عن لحومكم جلودكم أيها الناس، فلا تضرونى قبل أن تتأكدوا من أننى قادر على نزعها، لأنزعن عن لحومكم جلودكم، ستصير أجسادكم بخورًا طريًا على جمرى تتشمَّمة المردة على حواف

الأكوان، تقيم حفلاتها على مهرجان النار، ليس مهماً لكى أكون إنساناً جيدًا أن أكون محبًا لكم، يا أيها العفن المقـيم المسـتديم الأزلى الأبدى المستقيم الدائرى اللولبى المحمر المعتم المسـود الخانق المارق الحارق الخارق الجاذب المغناطيس المسيل للدمع المضعف للبدن الموهن للعزم القاتل للروح المميت.

***

فى رائعة من نهار

فى ساحة من ساحات الدنيا

قال .. الولد ملْبن

ــ كلُه

ــ وانت ؟

ــ حلالى مستنيانى

قُدَّتْ أميرة من النور قال لها الرائع الأسمى اذهبى إلى حبيبــى، جاءت تَدِلُ بالجوهر، قلت أنت موهوبتى، تثنت تغنجــت نــارًا تحت الإبطين فى سطح الدماغ ولمة البطن.

ــ انت مس متجوز

ــ مين قال لك..

كل النساء لى نساء، سأملأ الأرض بنسلى، وبعقبى سوف يزدهر العالم .. هجت وابتهجت وامتلأت الساحة بأطفال لــى يلعبــون بعضهم يتوقف ويحيينى.

أخب فى جلبابى الأبيض متلفعًا بلفاع رفيق ..

تهف النسائم .. تند عطور الصندول الذى فى رجلى التــى لهــا فحولة محتدى والرقة العيسوية، أحمل فى يدى أكاليــل الفــل، السماء زرقاء وتضحك، نسائى فى الحديقة يفعلن أشــياءهن ..

امرأة تطرز لى رداء. امرأة تغير ملابس الطفل الذى يضـــحك فهو طفلى .. امرأة تزجج حواجب أخرى .. امرأة جلست تعطى أسرار الحب لبنتى التى ستدخل حديقة الجسد .. امرأة تضـــيف الهيل إلى القوة على الصينية النحاس التى تبرق وبها حواف من دانتيلا المعدن .. امرأة ترفع غطاء الحلة فيتدفق إلـــى الأعلـــى بخار أصابع الكرنب، تخرج إصـــبعًا تتذوقـــه بحـــذر وتهـــدئ النهار .. امرأة اختبأت تحت بساط العنـــب المرتفـــع المتلألـــئ وأخذت تنهمك فى إزالة مايزال من مكامن البدن..

امرأة اتكأت تستعيد تجاربها فى عيونى وهديلى ونارى .. امرأة جلست تهدهد أشجانها وتتأمل الألم تنظر إلى ما تنظر إليـــه ثـــم تأخذ فى العديد.

أمرُ أنا الأبيض الإلهى فأعطى امـــرأة قبلـــة فـــى مكـــان مـــا أو أمسحة بكف على مكان ما أو مسكة بقوة أو برفق من مكان ما أو نسمة أو زعقة أو نَكتة أو ضربة شديدة أوجذبة، وأعطـــى كل واحدة إكليلاً ووعدًا.

ثم أستقر فى جلستى على جريد هيأتُه مقعدًا فى النخلة ذات التمر الموهوب لى، أنهمك فى الأكل والاسترواح ثم تفغمنى الســـماء بضرعها لأتبلغ بالحليب.

***

سوف تنتهى الخدمة العسكرية ويكون متاحًا لقاؤنا فـــى ســماء انعتاقى.

ليس من شيء كثيرًا ما أترجاه من الدنيا ــ كلقائنا.

فى الفيافى عندما تشرق فىَّ لحظة مبدعة .. كنت ومازلت أكتب خطابًا لك .. وأنا أصوغ لك الخطاب اكتشفت مداك فى حــدائق نفسى وفى الدنيا التى عشناها معًا .. والتى عشـتَها وتعيشــها وحيدًا.

تمنيت وأنا على رصيف الصحراء فى انتظــار الســيارة ــ أن تكون قريبًا وأقبل يدك.

ماذا فعل الفرفور مع عشقه للبدوية (بوصفى)

تلفزيونية العشق (بوصفه)، .. ومع طليقته القاهريــة المنبــت الصعيدية الأصل .. ومع قاض ينظر أمر اعتدائه (الذى لــم يكن ..) ومع الرؤساء والزملاء ؟

ماذا..!

هل يذكر صديقاً نحيلاً مرميًا وحيدًا فى الفيافى ؟

سوف يكون المال معى..

سوف تكون لك زجاجات الخمر..

سوف يكون لى صمتى

سوف تكون المزَّة لى والشرب هويناً هويناً وعينان صادقتا الود تحنوان عليك مريرًا.

الإلهام سوف يكون معك

الإبداع سوف يكون معى

فتقطر دمعًا وأسكب دمعًا

تقبل يدى وأقبل يدك وتقرأ شعرًا

سوف تكون عاشقًا وسوف أكون صغيرًا حتى لأصـــل إلـــى أن أصير ابنك.

■ ■ ■

١٩٩٥

١٩٩٧

المحتوى

صدر للمؤلف

الحضور الفذ

" نصوص قصصية "   على نفقة المؤلف

١٩٩٠

للذكرى الخالدة

" رواية "   على نفقة المؤلف

١٩٩٧

مَعْمدَانيةُ المحبة

" قَصص "

" سلسلة إبداعات " الهيئة العامة لقصور الثقافة

١٩٩٧

جبروت

" نص روائى "

" سلسلة كتابات جديدة " الهيئة العامة المصرية للكتاب

٢٠٠٠

إصدارات

نفرو للنشر والتوزيع

الرواية

اسم الكتاب	المؤلف
قاهري	أحمد مجدي
الغواية	حسام الدين محمود
كتاب الشهادة	محمد عامر فاضل
على المنحدر	ترجمة سالمه صالح
جن وجنون وجريمة	ضير مري
على المنحدر	د/ سالمه صالح
طفل الفجر (ترجمة ظبية خميس)	جوتاما اشوبرا
صاحب القلنسوة	حياة الحضري
عبر الليل نحو النهار	محمد الراوي
الفضيحة الإيطالية	محمد بركة
الأميرة ذات الهمة (٥ أجزاء)	عبدالله السيد
باب البحر	عبدالله السيد
العصف	حياة الحضري

